استراتيجية الخداع الأمريكي تجاه العراق : ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله!

22-1-2003

الأول، الاحتلال يضع القوات الأمريكية في القلب الإستراتيجي في المنطقة العربية، هذا الموقع يؤهل واشنطن لتعزيز "العمق" الإستراتيجي والحيوي للكيان الصهيوني حماية لمصالحها وتغييرا لخريطة المنطقة، وكذا مطاردة عناصر القاعدة والتيارات القتالية الأخرى في أي مكان تحدده المخابرات المركزية الأمريكية. الثاني، لا يقل أهمية عن الأول، يسمح للولايات المتّحدة بجلب قواتها - قوى تقليدية – لتأمين نهب الثروات والتأثير المباشر على دول المنطقة. من وجهة النظر الأمريكية، هذا هو السبب الجوهري الإستراتيجي لحرب مع العراق. أو بالأحرى، إذا لم يكن هذا هو السبب الجوهري، فإنّ الغرض، أمر واحد، وهو أن أهداف الحرب الإستراتيجية لا يجب أبدا أن تكون سرّا محيّرا - وليس هذا التفسير الذي أعطي لاستراتيجية الحرب-، مشكلة إدارة بوش المركزية أنها لم تقدر على الربط بين استراتيجيتها في العراق

يقولون إن المفاجئة ضرورية في الحرب، وأن المكر أساس المفاجأة. أثناء الحرب العالمية الثانية، حُمي مخطط التحالف بما عبر عنه وينستن تشرشل بـ" الحارس الخاص للأكاذيب". و يمكن أن يجادل الأمريكان بشكل "مقنع"، أن تلك الأكاذيب جعلت من احتلال نورماندي عملا ناجحا. ذلك أن الحارس الخاص للأكاذيب أخفى خطّة العمليات الأساسية عن عيون الألمان. الإستراتيجية انكشفت للجميع : في وقت ما، الحلفاء ينفّذون هجوما برمائيا على الساحل الفرنسي. الألمان أيضا عرفوا بأنّ احتلالا يمكن أن يحدث في أي وقت. لكن الذي جهلوه - بسبب خطّة عرفت بـ"عملية ثبات" – كان مخطط هجوم الفيلق الثالث الأمريكي في منطقة فرنسية كانت خيالية تدعى Pas de Calais . الإحتلال الحقيقي كانت ساحته في نورماندي، بمشاركة قوّات أخرى. عرف الألمان بأنّ إحتلالا وشيكا قادم، لكنّهم أخطأوا في توقيت الحرب. يستفيد اليوم مخططو الحرب الأمريكان من "عملية ثبات" درسين. الأول، استعمال كلّ الوسائل الضرورية للتشويش على العدو. الثاني، ليس تقريبا كما نوقش كثيرا، بأنّ القادة لا يجب أبدا أن يسمحوا لأنفسهم بأن يقعوا فريسة التشويش بالنسبة إلى ماهية الخطّة الحقيقية. و- بنفس الأهمية - أن المكر لا ينبغي أن يُمدد بعمق وبشكل واسع، إلى درجة "يشوش" فيها على القوّات والجمهور المتعاطف بشأن ما يجري.

على المستوى الجماهيري، ما كان هناك تشويش بين قوات الحلفاء والجمهور بالنسبة إلى الهدف: الإستسلام غير المشروط لسلطات المحور. الكثير انتقد هذا الهدف، وآخرون قالوا بأنّه كان تصميمه كان ضروريا لضمان وحدة الحلفاء. ولعلهم نسوا أن بساطة الهدف، حفظت قوات الحلفاء والجمهور من السقوط في مستنقع الشكوك حول نوايا زعمائهم. لقد كان مفهوما بأن الهدف كان استسلاما غير مشروط؛ الوسائل كانت احتلال فرنسا، تحالف مع الإتحاد السوفيتي وحملة القصف الإستراتيجية.في العراق، فإن "حارسا خاصا مختلفا للأكاذيب" سيطر على تخطيط حرب. فالمستوى التكتيكي والميداني للحرب، يبدو أنه أوضح من شكل الحرب الإستراتيجي أو حتى أهدافها. ومن غير الواضح بالضبط لماذا تخاض وماهي نتيجتها المرغوبة. هناك سببان محتملان لهذا التشويش. الأول، أنّ المسؤولين من المحتمل أنهم وقعوا في الحقيقة فريسة التشويش، لكنَ ذلك صعب اعتقاده. إذ أن الفريق الملتف حول الرّئيس جورج دبليو بوش ليس فقط محنّكا وماهرا، ولكنه مطارد من شبح حرب فيتنام - الحرب التي لم يكن فيها الهدف الإستراتيجي معروفا بشكل واضح، فمن الصعب الإعتقاد بأنّهم يرتكبون خطأ إدارة جونسن -، حيث الإفتقار إلى الوضوح في تحديد الأهداف الإستراتيجية. ويبدو أنّ السبب الثاني أكثر إقناعا. الولايات المتّحدة دائما تحارب ضمن سياق الحرب الإئتلافية. في الحرب العالمية الثّانية، كان التحالف قويا من خلال الوضوح الإستراتيجي و بساطة الأهداف. في الأصل، القضية الوحيدة التي حظيت باتفاق الحلفاء تمثلت في تدمير النظام النازي وإحتلال ألمانيا. الإستراتيجية الكبيرة الأمريكية ما زالت مبنية على فكرة الحرب الإئتلافية – لتقاسم الأعباء- لكن التحالف الذي تود الولايات المتّحدة بناءه للحرب القادمة، شيء مماثل لما كان عليه الأمر أثناء عاصفة الصحراء، ويغلب عليه هذا الخليط من المصالح المتنوّعة والمتناقضة باعتبار أن الإعلان عن أهداف استراتيجية ليس من شأنه أن يوحد التحالف. تماما العكس عما كان عليه الوضع في الحرب العالمية الثانية، إذ أن أي إعلان عن الأهداف يؤدي إلى انقسام الحلفاء بشكل مثير، و في الحقيقة، يجعل من التحالف أمرا مستحيلا. لذا، فإن ما يُتداول من أن الولايات المتّحدة تبحث عن التبرير المقنع، ليس صحيحا. في الواقع، إن واشنطن ليست بصدد بناء التحالف ولا ضمان الدعم الشعبي والسياسي للحرب في بيتها. على أية حال، يحقق الهجوم واحتلال العراق هدفين أساسيين:الأول، الاحتلال يضع القوات الأمريكية في القلب الإستراتيجي في المنطقة العربية، هذا الموقع يؤهل واشنطن لتعزيز "العمق" الإستراتيجي والحيوي للكيان الصهيوني حماية لمصالحها وتغييرا لخريطة المنطقة، وكذا مطاردة عناصر القاعدة والتيارات القتالية الأخرى في أي مكان تحدده المخابرات المركزية الأمريكية. الثاني، لا يقل أهمية عن الأول، يسمح للولايات المتّحدة بجلب قواتها - قوى تقليدية – لتأمين نهب الثروات والتأثير المباشر على دول المنطقة. من وجهة النظر الأمريكية، هذا هو السبب الجوهري الإستراتيجي لحرب مع العراق. أو بالأحرى، إذا لم يكن هذا هو السبب الجوهري، فإنّ الغرض، أمر واحد، وهو أن أهداف الحرب الإستراتيجية لا يجب أبدا أن تكون سرّا محيّرا - وليس هذا التفسير الذي أُعطي لاستراتيجية الحرب-، مشكلة إدارة بوش المركزية أنها لم تقدر على الربط بين استراتيجيتها في العراق مع استراتيجيتها في مواجهة القاعدة، ليستقرّ أمر التبرير بعدها على أسلحة الدمار الشامل، إثارة ضجيج عارم بشأن صاروخ فارغ ! من البداية، وقعت الإدارة في

فخ التعامل مع الحرب باعتبارها تحقيقا عن مجرم. الحروب لا تتعلق بالعقاب؛ فهي ليست إجراءات قانونية. ولكنها هجمات لدول ضدّ دول الأخرى لتحقيق "أهداف معينة". فالحرب حرب، ولها منطقها الخاص. إدارة بوش تدرك هذا، و لها أهداف استراتيجية لـ "فتح العراق". ولكنها لم تكشف عن الدوافع لسبب بسيط: إذا هي أفصحت عن مرادها، فإن العديد من حلفاء الولايات المتّحدة يعارضون الحرب، لذا، بدلا من ذكر الهدف الإستراتيجي بشكل هشّ، حاولت الإدارة توريط حلفائها في موقع مزيّف يدعى "الشرعية". و قاد هذا الولايات المتّحدة للتعامل مع المشكلة الحالية: ماذا لو أنّ صدام ترك الحكم باختياره؟ وبما أن واشنطن سمحت لمثل هذا العرض بالتداول، فالأكيد أنه سيذهب بعيدا نحو الأهداف الأمريكية. من وجهة نظر إستراتيجية، فإن هذا الخيار لا ينجز شيئا، مالم تغزو الولايات المتّحدة العراق وتغرس قوّات كبيرة هناك تحت سيطرتها. إنّ الجانب السلبي في كلّ بالنسبة لواشنطن هو الرأي العامّ الأمريكي، فإلى جانب إقحامه في استراتيجية غير مرئية، قبل الجمهور التبرير الذي أعلنت عنه إدارة بوش (أسلحة الدمار الشامل). حملة المكر على مستوى العمليات يمكن أن تعمل بشكل "جيد". إذ أن صدم قد يعتقد بأنه يعرف من أين يأتيه الهجوم، لكنّه قد يعتقد أيضا بأن عنده متسع من الوقت للمناورة – أو هكذا يرى المحللون الأمريكان-. المكر على المستوى الميداني سلاح حيوي. على أية حال، فالمكر على المستوى الإستراتيجي سلاح ذو حدين، فاستراتيجية الخداع يمكن أن تشوش على الجمهور بالقدر الذي تشوّش فيه على العدو. والأمر نفسه ينطبق على الحلفاء.

للعودة للأعلى